ثمار مملكة غرناطة في شعر بني الأحمر

إعداد

مصطفى فتحي خليفة النهراوي

أ.د أيمن ميدان

أستاذ الأدب العربي النقد والبلاغة كلية دار العلوم_ جامعة القاهرة

د. عهدي إبراهيم السيسي

أستاذ مساعد في اللغة العربية وكيل الكلية للدراسات والبحوث المتطورة _جامعة طنطا

المستلخص:

تناول البحث وصف الثمار في شعر مملكة غرناطة، في عصر بني الأحمر، وقد تضمن البحث مقدمة وبيان الحديث عن ثمريات غرناطة في شعر بني الأحمر، وخاتمة، أما المقدمة فقد تناول الباحث فيها الحديث عن طبيعة غرناطة الساحرة، التي تجمع بين السهول، والجبال، والمناخ الجيد، والمناظر الجميلة، وجاء الحديث بعد ذلك عن أنواع الفاكهة المذكورة عند شعراء غرناطة، وما وصفت به، من العنب والتين والأترج، وغيرها من الثمار، أما المنهج المتبع في البحث فهو الوصفي التحليلي. وجاءت الخاتمة تبين خلاصة البحث واستنتاجاته.

الكلمات الافتتاحية: الأندلس، غرناطة، الطبيعة، الثمريات، بني الأحمر.

مقدمة

تتميز غرناطة الأندلسية بطبيعة جغرافية ساحرة، تجمع بين السهول، والجبال، والمناخ الجيد، والمناظر الجميلة، ويرجع ذلك إلى الموقع الجغرافي المتميز، فهي تقع في «الجزء الجنوبي من الأندلس، منحدرة جنوبًا وراء نهر الوادي الكبير حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط وبوغاز جبل طارق، بينما كانت حدودها الشرقية تشمل ولاية مرسية، ممتدة شرقًا حتى البحر، كما وصلت الحدود الشمالية إلى ولايات أشبيلية وقرطبة وجيان، والغربية إلى أرض الفرنتيرة وولاية قادس»(١).

وهي تتبع الإقليم الرابع من أقاليم الدنيا السابعة، «فمعظم الأندلس في الإقليم الخامس، وجانب منها في الرابع، كأشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية»(٢).

وقد أفاض لسان الدين ابن الخطيب في وصف غرناطة، وجبالها، وأنهارها، وأسوارها فقال:

«ويشتمل شكل هذه المدينة العظيمة، وما يرجع إليها من أرباضها على جبال خمسة، وسهل فسيح الساحة، بعيد الأقطار، متراكب العمارة، لا يتخلله خراب ولا بياض على حد ما، عليه كور النخل، قد ضم من النسم ما لا يحيط به إلا من كتب الحركات وأحصى الأنفاس إلى الجسور المحكمة، والمساجد العتيقة، والأسواق المنتظمة.

يشق البلد النهر الشهير المسمى بهدارة آتيًا من جهة الشرق، ويجتمع بخارجها بوادي شنجل الآتي من قبليها، فيشق الفحص الأفيح ولا يزال يعظم مده بما ينضاف إليه من فضول السقي مواقع الأنهار بأحوازها، إلى أن يمر بأشبيليه وقد صار نيلاً عظيما...، ويحف بسور المدينة البساتين العريضة المستخلصة، والأدواح الملتفة، فيصير من ذلك خلف سياج تلوح نجوم الشرفات البيض أثناء خضرائه فلا تعري جهة من جهاته عن الجنات والكروم والبساتين»(٣).

المحور الأول ـ ثمريات مملكة غرناطة في شعر بني الأحمر:

لم يقف شعراء غرناطة في وصف الطبيعة عند الرياض والربيع والورود والأزهار فقط، وإنما تناولوا أيضًا وصف الثمار، بأشكالها وألوانها وروائحها، حيث كانت بلادهم زاخرة بالعنب والتين والتفاح والكمثرى والرمان والخوخ وغيرها.

كل ذلك كان مصدر وحي وإلهام لدى الشعراء الذين سحروا بألوانها، وتلمسوا نعومة ملمسها،

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، الهجري، تحقيق: محمد كمال شبانة، حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، ص ١٦.

(٢) عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٧٤م، ص ٣٢.

(٣) لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٩٢٩م، ص ١٤، ١٥.

وإن لم يكن بالقدر الذي أوحت به الرياض والأزهار، واختصت كل ناحية من نواحي مملكة غرناطة بفاكهتها الخاصة، فقد اشتهر أهل مالقة بالتين الذي يضرب به المثل في الحسن، وفيه يقول أبوالحجاج يوسف ابن الشيخ(*):

مَـالقة حُيـيتَ يَا تِينـها * الفلك مِن أَجـلكَ ياتِينـها**

نَهَى طَبيبي عَنه في عِلتي * مَا لطَبيبي عَن حَياتي نهى** (١)

فالثمار قد نهاه الطبيب عن تناولها، لكن بسبب حبه لها، أضحت تلك الثمار لا غنى عنها لدى الشاعر.

إن مالقة كثيرة الخيرات والفواكه، حتى قال عنها المقري:

«رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا، وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب»(٢).

وقد وصف الشعراء التين، فهذا أبوالطيب الرندي يقول:

أَهْلاً بِتينٍ حَسنِ المَنظَر * صُوِّرَ مِن مِسكٍ وَمن عَنبَرِ**

مُطرّزِ البُردِ إذَا ذُقْتَهُ * أَلهَى عَن المَنظَرِ بِالمَـخبَرِ**

كَأَنَّمَا البَارِي سُبحَانَهُ * حَشَاهُ بالسِمسِمِ والسُكَّرِ**(٣)

يشير الشاعر في المقطع السابق إلى إعجابه بالتين، لما يمتلك من حسن المنظر وجمال النسق، فضلاً عن حلاوة مذاقه وطيب رائحته، كما يتضح أيضًا أن الوصف مدخل إلى علاقته بالخالق العظيم، ليزيد من جمال التين، وليرد هذه الروعة إلى صنعة الخالق سبحانه وتعالى.

(*) ابن الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي،الإمام القدوة المجاب الدعوة أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن غالب البلوي المالقي المعروف بابن الشيخ، ...، توفي بمالقة عن خمس وثمانين سنة سنة أربع وست مائة، انظر ترجمته: الذهبي، (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي): سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص ٤٧٩.

(١) المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج١، دار صادر، بيروت ، لبنان، ١٩٦٨م، ص١٥١.

(٢) المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، مصدر سابق، ص ١٥٢.

(٣) أبي الطيب الرندي: ديوانه، تحقيق: حياة قارة، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص ١٦٤.

(*) أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون، يكنى أبا جعفر،... شعلة من شعل الذكاء والإدراك، ومجموع خلال حميدة على الحداثة، طالب نبيل، مدرك، نجيب، بذّ أقرانه كفاية، وسما إلى المراتب، مولده: في ربيع الآخر من عام سبعة وأربعين وسبعمائة، انظر ترجمته: : لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط٢، ج١، حاشية٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م، ٢٢٠/١، ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٣٠٥.

ومن هذا القبيل يقول ابن فركون(*):

وصلَتْني تُـحْفـةٌ * تُجْـتَلى فوقَ الطّبَقْ**

من بَناتِ الزِّنْجِ قدْ * نظّـمَت علَى نسَقْ**

أجْلِسَتْ فيهِ عَـلى * فُرُشٍ منَ الـورَقْ**

ظُلِّلتْ وُجـوهُـها * برَياحـينِ الحَـبَقْ**

ألْبِسَتْ أجْسامُـها * حُلَلاً من الغسَـقْ**

بِرُقـومٍ قد بـدَتْ * في دُجَـاها كالشّفَقْ**

ذاتَ لوْنين كَـما * يُجْتَلى حُسْنُ الحدَقْ**

بمحاسِنٍ أتـتْ * فِرَقًا بعْدَ فـرَقْ**

كلّما قـد رُمِـقَتْ * حسْنُها أحْيا الرَّمَقْ**

من صديقٍ من يَقَلْ * فيهِ ذو الفضْلِ صدَقْ**

عاجِزٌ عن شُـكْرِه * كُلُّ ذي لفْـظٍ نطَقْ**

لنـدىً أو لعُلىً * أو لجَمْعِ ما افْتَرَقْ**

عَوِّذوا مُهْديَـها * بالتي تتْلو الفـلَقْ**(١)

في الأبيات السابقة رد على صديق أهدى إلى الشاعر بشيء من التين، فقدم إليه الشكر والامتنان مصحوبا بتلك المقطوعة الشعرية، والتي أجاد فيها بوصف التين، مصورًا إياه بالتحفة الفريدة من نوعها، تظهر وتنجلي مثل القمر، وعن رائحتها فهي رائحة زكية مثل الحبق، وهو نبات طيب الرائحة، أما لونها فهو بين السواد والحمرة، كالتي تظهر في الأفق حيث تغرب الشمس، وكلما نظرت وأمعنت النظر إليها زادت حسنًا على حسن، وفي نهاية المقطوعة يعلن عن عجزه لشكر صديقه لما له من فضل عظيم .

فرد عليه ابن قطبة بجميل قوله، في مقطوعة شعرية تبلغ أبياتها عشرين بيتا، بدأها بالقسم، وبين فيها فضل الشاعر، وحسن خلقه، وروعة إبداعه الشعري، ثم وصف التين بألوانه ورائحته الزكية، حيث قال:

قسمًا يا سَيدي * بالدجى وما وسقْ**

وبمن سوّى الوَرى * كَيفَ شَاء من عَلقْ**

وَبـآيـاتٍ أرَى * في جَـميعِ مَا خلقْ**

مَا سـواكَ شَاعرٌ * كُلمَا جَارى سَبَقْ**

جامِعٌ منَ العُـلى * كُلَّ مَعنى افتـرقْ**

---

(١) ابن فركون الأندلسي: ديوانه، تحقيق: محمد بن شريفة، ط١، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٧م، ص ٣١٥، ٣١٦.

لاَ ولاَ كقطعَةٍ * رَاقَ معنَاهَا وَرقْ**

وَفَدَت من عندِكُم * مِثل عِلقٍ اتَّسَقْ**

تَصفُ التِينَ وَقَدْ * وَصلَتكَ في طَبقْ**

قَد حَكت أَلوانُها * قطَعًا منَ الغَسَقْ**

بِخُتطوطٍ فَوقَهَا * كَبَياضٍ وَشَفَقْ**

من خَليلٍ قَلبُه * لكَ بالودِّ صَدقْ**

مُغرمٍ بالجُودِ في * مُغتَدي ومُغتَبَقْ**

ان يَكنْ أهدَاك مَا * زَانَه نُور الحَبقْ**

فَلقد أَهدَيتَهُ * دُرَرًا عَلَى نَسقْ**

وَحُرُوفًا أبهجَت * طَرفَ كُلّ مَنْ رَمَقْ**

وفُنونَ الحسنْ قد * جُمعَت عَلَى فِرَقْ**

يَالَهَا من قِطعَةٍ * سَحَرَت والسحرُ حَقْ**

دُمتمَا في عزةٍ * كُلّمَا بَرْقٌ خَفَقْ**

والَّدِيَاجي عَسعَسَت * وَبَدَا ضَوءُ الفَلقْ**

وانثنَى غُصنُ النّقضا * بَينَ حُلةِ الوَرقْ[1]**

ويبدو أن من شعراء غرناطة من كان كارهًا للتين، ويظهر ذلك من أبيات لابن سعيد الأندلسي(*):

لاَ مَرحَبًا بِالتِّينِ لَمّا بَدَا * يَسحَبُ مِن لَيلٍ عَليهِ الوشَاحْ**

مُمَزّقِ الجلبابِ يَحكِي لَنَا * هَامَة زِنْجيّ عَلَيهَا جرَاحْ**

وَإن تُصحّفهُ فَلا حَبذَا * مَا قَد أَتَى تَصحيفُهُ بِانتزَاحْ[2].**

---

(١) ابن فركون الأندلسي: ديوانه، مصدر سابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

(*)علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد غرناطي قلعي، سكن تونس يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن سعيد،... مولده بغرناطة في سنة عشر وستمائة، وتوفي بتونس في سنة خمس وثمانين وستمائة، انظر ترجمته: ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبوالنور، دار التراث، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١٢،١١٢.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، مصدر سابق، ص٣١٢.

قدم لنا الشاعر صورة متّفرة للتين، حيث تصوره ليلاً شديد السواد، كما بدت حباته كجرح مفتوح تسيل منه الدماء، ثم أشار في البيت الأخير إلى لفظة التين لو صُحفت وصارت التاء باء، لدل ذلك على معنى الفراق والغربة.

ومن الثمار التي سحرت الشعراء بمنظرها، ثمرة التفاح، وفي وصفها يقول الرندي مصورًا رائحتها الزكية، وألوانها البهية من الحمرة والاصفرار، كما يلتقي العاشق بمعشوقه:

تُفاحَـةٌ كَالمسـكِ نَفّـاحَةُ * يَصبُو لَهَا النَاظرُ والنَاشِقُ**

جَرَت بهَا الحُمرة في صُفرة * كَمَا التقَى المَعشُوقُ والعَاشقُ(١)**

المحور الثاني ـ التهادي بالفاكهة:

ولا بد من الإشارة إلى أن أهل الأندلس كانوا يتهادون الفاكهة، وبخاصة في المناسبات، وهذا يدل على الذوق الرفيع، لصاحب الهدية، فهذا أبوحيان الأندلسي(*) أهديت إليه بعض الفاكهة التي انتشرت رائحتها برائحة التفاح، وإن لم يكن موجودًا بها، فقال:

هَديةٌ قَد أَتَت مِن جِلَّقٍ جَمَعَت * فَواكها عَرفُها قَد نَمَّ تُفّاحا**

فَالطُرقُ تَعبقُ مِن نَشرٍ لَها أَرَجٌ * كَأَنَّما المِسكُ في أَبياتِنا فاحا(٢).**

و**(جلق)** ناحية بالأندلس جاءت منها الهدية معطرة، تنشر عبيرها في كل مكان، لكن الشاعر كان عاشقًا للتفاح ، فقال لو كان في الهدية تفاح لذكرته فوجه إليه تفاح، فقال:

وَالقَلبُ قَد كانَ خَفّاقاً فَسَكَّنَهُ * جَدواكَ وارتاحَ لما شَمَّ تُفّاحا(٣)**

ويبدو أن روض **(جلق)** كان يعج بألوان الفاكهة، من التفاح، والكمثرى، والسفرجل، فصوره أبوحيان برجل كريم يجود بما عنده، ولا يبخل على أحد:

سَألَت سَليلَ الجودِ أَمراً فَما اِنقَضى * نَهاريَ حَتّى صرتُ في رَوض جِلَّقِ**

فَأَقطِفُ مِن تُفّاحِهِ وَسَفَرجَلٍ * جَنِيٍّ وَكُمثرى لِعَينَيَ مُونِقِ**

---

(١)أبي الطيب الرندي: ديوانه، تحقيق: حياة قارة، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص١٧٩.

(*) مُحَمَّد بن يُوسُف بن عَليّ بن يُوسُف بن حَيَّان الإِمَام أثير الدّين أَبُو حَيَّان الأندلسي الغرناطي النفزي، نِسْبَة إِلَى قَبيلَة من البربر، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد بمطخشارش، مَدِينَة من حَضْرَة غرناطة فِي آخر شَوَّال سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة، ... مَاتَ فِي ثامن عشْرين صفر سنة خمس وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة، انظر ترجمته: لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، مصدر سابق، ص٨١، جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٨٠، ٢٨٥.

(٢) أبي حيان الأندلسي: ديوانه، تحقيق: وليد بن محمد السراقبي، ط١، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٩٣.

(٣) أبي حيان الأندلسي: ديوانه، مصدر سابق، ص٩٤.

كَـريمٌ متى تسـأله شَـيئًا فإنّـه * يَجـودُ ويعطي ما تشـاءُ وَيَنتقي** [١]

كما نظم ابن خاتمة أيضًا مقطوعة في وصف التفاح، منها قوله:

وَدُونَكها مثلَ شَكل النُّـهود * وقَد ضُمّخت باحمرار الخُدودِ**

كَريّا الحَبيبِ ومَرأى المُريبِ * وطَعم الرّضَى بعد طول الصُّدود** [٢]

يستخدم الشاعر وصف التفاح في غرض الغزل، فيشبهها بالنهود، ثم يأخذ الشاعر في تصوير حسن منظرها وطيب طعمها، الذي وصفه بطعم الرضى بعد طول البعد والفراق.

ويصف ابن زمرك سلة ثمار اجتمعت فيها أصناف مختلفة من الفاكهة، من التفاح والأترج وغيرها، ليمزج بين الطبيعة والمرأة مقدمًا صورة شعرية رائعة، فيقول:

فيها من التفاح كلُّ عجيبةٍ * تذكي بريَّاها صَبًا وشَمالاَ**

تُهدي لنا نهدّ الحبيب وخدّهُ * وتُري من الوَرد الجنيِّ مثالاَ**

وبها من الأَترجِّ شمسٌ أطلعت * من كُلِ شَطرٍ للعُيُونِ هِلاَلاَ**

ويحفُّها وَرَقٌ يروقُ كَأنّه * وَرَقُ النُّضار وقد أجاد نِبَالاَ** [٣]

وأعجب شعراء غرناطة بثمرة الأترج(*)، فقد أولع بوصفها الرندي، حيث أبدع في تصوير ألوانها بين الذهب والفضة، كما زكّى رائحتها الطيبة، فقال:

جِسمُ لُجينٍ قَميصُه ذَهبٌ * مُركّبٌ من بَديع تَركِيب**

فيه لمن شَمَّه وأَبصَرَه * لَونُ محبٍّ وريحُ مَحبوب**[٤]

وفي أبيات أخرى لأبي حيان الأندلسي أُهدي إليه الأترج، فوصف حسنه وجماله بقوله:

أَهدى ليَ المَحبوبُ الأترُجَّ مُحسنا * فَيا حُسنَه مَولىً بهِ عَزَّ عَبدُهُ**

ثمَـان حَبّـاتٍ غَرَسنَ مَحَبّةً * وَهَيجنَ من وَجدٍ تَقَادَمَ عَـهدُهُ**

تَجمعُ لي المتلانِ لَونِي ولونُـهَا * كَمَا اجتمعَ الضّدانِ قُربي وبُعدُهُ**

ولكنْ حَوى رَأَء وجيمًا حُـرُوفُه * فَرَجيتُ أَن يَسخو وَيَذهَبَ صَدُهُ**[١]

---

(١) المصدر السابق: ص٩٤.

(٢) ابن خاتمة الأنصاري: ديوانه، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص ١٢٧.

(٣) ابن زمرك الأندلسي: ديوانه، ط١، تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٤٨١.

(*) الأُترُجُّ، شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبَار، وهو ذهبّي اللون، ذكيُّ الرائحة، حامض الماء، ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤.

(٤) أبي الطيب الرندي: ديوانه، مصدر سابق، ص ١١٩.

وفي وصف العنب نجد أبو الطيب الرندي قد تطرق إلى ذلك الوصف، وقد أبدع فيه غاية الإبداع، فمن ذلك قوله:

وعِنــب كَفـضّــة * يُعصُرُ منهَا ذَهب**

كَـأنَـمَـا حُـبُـوبُـهُ * لآلــئ أو جَـبـبُ**

السمـر منـها لـعّسٌ * والبيض منها شنب**[٢]

نجد أن الرندي في هذه الأبيات يصور حبات العنب كأنها حبات اللؤلؤ، منها المذهب ومنها المفضض، ومنها الأسمر في حسن وجمال، ومنها الأبيض في صفاء وبهاء.

ولما وردت هدية من عنب على ابن الخطيب، وكان معه الشيخ القاضي أبوالبركات ابن الحاج البلفيقي، قال واصفًا:

لله من عِنـبٍ تَلُو * حُ طلاوةُ الدُّنيا عليهْ**

فقال ابن الخطيب مصورًا حلاوته:

قَد كَانَ يُسكرُ شُربُه * فسكِرتُ من نظري إليهْ**

ويبدو أن ابن الخطيب كان عاشقًا للعنب، فها هو يدعو أحدهم، قريبًا منه، محبًا له، إلى تناول العنب والتوت معه، فيقول:

لعَلّكَ يا حَبيبَ القَلْبِ تأتي * فتأكُلَ عِنْدَنا عِنَباً وتُوتا**[٣]

بل خص التوت ببيتين في وصفه، فشبهه في البيت الأول بدودة القذ التي تتغذى على أوراق التوت، وتصنع الحرير، وفي البيت الثاني كأنّه مرصع بياقوت أحمر، فقال:

وبِيضٍ كَدودِ القَزِّ زادَ اشتِباهُها * وأفْرَطَ حتّى بالتّكونِ في التّوتِ**

تعَجّبْتُ مِنْها في بَنادِقِ جَوْهَرٍ * يُـزَيِّنُـها ما احْمَرّ منها بِياقوتِ**[٤]

ومن الثمار التي كانت حاضرة عند شعراء غرناطة ثمرة الكمثرى، حيث نظم ابن زمرك بعض الأبيات في وصفها، فقال:

أَنَبَاتُ رَوضٍ أَم حِقَاقُ زَبَرجَدِ * في خُضرَةٍ شِيبَت بصُفرَةِ عَسجَد؟**

ذَوبُ اللُّجَينِ وَقَد كَسَاهُ حُسنُهُ * خُضرُ الحلَى للسُندُسِ الخَضلِ النّدي**

---

(١) المصدر السابق: ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص١١٠.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: ديوانه، تحقيق: محمد مفتاح، ج٢، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٩م، ١٨٧/١.

(٤) المصدر السابق: ١٧٦/١.

كَانت أزَاهرُهَا زَوَاهرَ لُؤلُؤٍ * ثُمَ استَحَالت بَعدهَا لزُمُرُّدِ**

مِثلُ الثدِي نَوَاهدًا قَد أَخجَلَت * منْ حُسنِهَا سربَ العَذَارى النُّهَدِ**

قَد أَحكَمَ الرّيحَانُ رَتْقَ فُتُوقهَا * فَتَرُوقُ بَينَ مُنَظَّمٍ ومُنَضَّدِ**

مَا شئتَ مِنْ عَرْفٍ ذَكي طِيبُـهُ * بِشَمِيمِهِ رُسلُ النُّواسمِ تَهتَدي**

سَرَّحتُ طَرْفي في مَزَاين حُسنِهَا * فَعَجبتُ منْ صَرحٍ هُنَاكَ مُمرَّدِ**

وَأَنَا الفَقيرُ إلى هَدِيّةِ مُنعِمٍ * وَافَتْ بِكُمّثرَى بها أَثرَت يَدي** (١)

في تلك الأبيات يمتزج وصف الثمريات بالمدح، حيث يمدح الشاعر هدية ممدوحه، ويشبهها بالزبرجد، وهو حجر كريم يشبه الزمرد، وذو ألوان كثيرة، وشبه زهرها باللؤلؤ الذي فاق حسنه النساء العَذارَى، ثم زكّى الرائحة الطيبة، فهي تختلط بنسيم الريحان، الذي يملأ المكان.

وفي أبيات أخرى لابن زمرك يصف بطيخًا ولبنًا ولحمًا، فقد أراد من ممدوحه أن يتذوق تلك الثمار حتى ولو كان صائمًا، فلها حسن وجمال، فقال:

وَفاتَحَني منهَا بِكُلِّ غَريبَةٍ * مُنَوّعَةٍ مِنْ كُلِّ مَا يُتَخيَّلُ**

بِفَاكهَةٍ تُهدي إلى النَّفسِ مَا اشتَهَت * وَلاَ سِيَّمَا والنّفسُ بالصَّومِ تَدمَلُ**

فَمُخضَرَّةٌ أَشكَالُها مِنْ زَبَرجَدٍ * ومُصفَرَّةٌ مِنْ عَسجَدٍ تَتَمَثَّلُ**

وَقَورَاءَ قُرصُ الشَّمسِ منْ دُونِ حُسنِهَا * وَإنْ قُسمَتْ منهَا الأَهلَّةُ تَخجَلُ**(٢)

أما ابن الجياب فإنه يطلق على البطيخ الحبحب فيصفه، ويشبهه بالأهلّه بعد أن يقطّع بقوله:

وَجامِعَةٍ لأصنافِ المَعاني * صَلَحنَ لِوَقتِ إكثارٍ وَقِلَّه**

فَمنْ أُدمٍ ورَيحَان ونُـقلْ * فَلم يُرَ مثْلُهَا سدًا لخَلَّه**

فَمنهَا مَا تُشَبهُهُ بُدورًا * فَإن قَطَعتَهَا رَجَعَت أَهلَّه**(٣)

كما عرف أهل غرناطة الرمان، بلونه الجميل، ومنظره البديع، يصفه الرندي، فيشبهه بالحسناء البهية، وقشرته مثل الطبق المدور الذي يحوي ليونة وعذوبة، أما الحَب كأنه جواهر الياقوت:

للهِ رُمَّـانةً قد راقَ مَنظَرُهَـا * فَمِثلُهـا ببديعِ الحُسْنِ منعوتُ**

القشرُ حُقَّ لمـا قَد ضَمَّ داخلهُ * والشَّحمُ قُطن له والحَبُّ يَاقوتُ** (٤)

---

(١) ابن زمرك: ديوانه، مصدر سابق، ص ١٩٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٦.

(٣) ابن الجياب الغرناطي: ديوانه، تحقيق: فوزي عيسى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٥٨٠.

(٤) أبي الطيب الرندي: ديوانه، مصدر سابق، ص١٢٠.

وقد فتن ابن الخطيب أيضًا بثمرة الرمان، فقال فيها:

رُمّانَـةٌ راقَ مِنْها منْظَرٌ عـجَبٌ * تُريكَ صُورَتُها إبْداعَ باريها**

كـأنّمـا حَبُّهـا دُرٌ وظاهِرُها * حُقٌ ومِنْ شحْمِها قُطْنٌ يُوارِيها** (١)

يقدم الشاعر في البيتين السابقين توصيفًا لمنظر الرمانة التي أعجبته، تلك الرمانة تتجلى فيها عظمة الخالق ـ عزوجل ـ، ويقترب المعنى من وصف الرندي السابق، حيث شبه ظاهر الرمان بالوعاء، ورقائق الشحم بالقطن، أما الحَب فيشبه الدر.

وفي ثمرة النارنج جمال استرعى اهتمام شعراء غرناطة، بأزهارها البيضاء وأشجارها دائمة الخضرة، ولون ثمارها الذهبي، حتى علق مصطفى الشكعة بقوله: «لعل أكثر الثمرات سحرًا لناظري الشاعر هي ثمرة النارنج، وبخاصة وهي عالقة في أغصانه، لعلها هي وفصيلتها كلها من أمتع ما يقع عليه نظر مرتادي البساتين، ومن ثم كانت النارنجة وأختها الأترجة من أكثر الثمار جريانًا على ألسنة الشعراء، كل يحاول أن يرسم منها وهي محمولة على غصنها لوحة تسر العين وتبهج الناظر»(٢).

يقول في وصفها أحمد بن عبدالحق(*):

وَثمَار نَارنج نَرَى أَزهَارها * مَعَ نَاتئ النّارنْج فِي تَنضيد**

فإذا نَظَرت إلى تَألّفها أَتَتْ * كَمَباسم أومَت للثم خدود**(٣)

أُعجب الشاعر بتناسق ثمار النارنج مع أوراقها، فبدت من فرط تناسقها كأنها مباسم تتوسل لتقبيل الخدود، في صورة تمتزج فيها الثمريا بالغزل.

وأنشد ابن الجياب في الزبيب أبياتًا عندما بهر بجماله، فقال في وصفه:

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب: ديوانه، مصدر سابق، ٣٠٣/٢.

(٢) مصطفى الشكعة: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ٢٩٧.

(*) أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى ابن عبد الحق الجدلي، من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن عبد الحق،...، دخوله غرناطة: تردّد إليها غير ما مرّة، منها في أمور عرضت في شؤونه الخاصّة به، ومنها مع الوفود الجلّة، من أهل بلده، تابعا قبل الولاية، متبوعا بعدها، ...وفاته: في زوال يوم الجمعة السابع والعشرين لرجب عام خمسة وستين وسبعمائة. مولده: ثامن شوّال عام ثمانية وتسعين وستمائة، انظر ترجمته: لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ١٨٠/١.١٨٢.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، مصدر سابق، ص ١٨٢.

ما نقيُّ العِرض طاهرُ الجَسَد * كُلّما خَالطه المَاءُ فَسَد**

خالط الماء القراح فَغوى * بَعدما قد كان من أهل الرَّشد**

عجميّ الأصل ثم حُسنُهُ * عندَما صَاد الغَزالةَ الأسَد**

واسمُهُ اسمُ امرأةٍ مصحفًا * ولقد يكُونُ وصفًا لوَلَد**

هاكَهُ قد بَهَرت أنَواره * فَارمِ بالفكر تُصِب قَصدَ السَّدد** (١)

الخاتمة:

(١) ابن الجياب الغرناطي: ديوانه، مصدر سابق، ص٥٤٤.

بعد هذه الجولة بين ثمار غرناطة في شعر بني الأحمر نضع جملة من النتائج:

١ـ اختصاص كل ناحية من نواحي مملكة غرناطة بفاكهتها الخاصة.

٢ـ تركيز الشعراء على أنواع بعينها؛ إما لجمال لونها، أو عبق أريجها، أو حلاوة طعمها، أو نعومة ملمسها.

٣ـ تهادى أهل غرناطة بالفاكهة، وغالبًا ما كان يقرن الشعر بالهدية.

٤ـ يظهر التمازج بين وصف الثمريات مع أغراض الشعر المختلفة، كالغزل والمدح.

٥ـ حديث الشعراء عن الثمار الغرناطية دليل على حضارة هذا العصر.

٦ـ ثقافة شعراء غرناطة الواسعة.

المصادر والمراجع:

١ـ جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢ـ ابن الجياب الغرناطي: ديوانه، تحقيق: فوزي عيسى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م.

٣ـ أبي حيان الأندلسي: ديوانه، تحقيق: وليد بن محمد السراقبي، ط١، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ٢٠١٠م.

٤ـ ابن خاتمة الأنصاري: ديوانه، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص ١٢٧.

٥ـالذهبي، (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي): سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٦ـ الرندي: ديوانه، تحقيق: حياة قارة، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٠م.

٧ـ ابن زمرك الأندلسي: ديوانه، ط١، تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٨ـ شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج١، دار صادر، بيروت ، لبنان، ١٩٦٨م.

٩ـ عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٧٤م.

١٠ـ ابن فركون الأندلسي: ديوانه، تحقيق: محمد بن شريفة، ط١، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٧م.

١١ـابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبوالنور، دار التراث، القاهرة، ١٩٣٢م.

١٢ـ لسان الدين ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، تحقيق: محمد كمال شبانة، حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

١٣ـ ـــــــ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٩٢٩م.

١٤ـ ـــــــ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط٢، ج١، حاشية٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م.

١٥ـ ـــــــ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٦ـ ـــــــ ديوانه، تحقيق: محمد مفتاح، ج٢، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٩م.

١٦ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٧ـ مصطفى الشكعة: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الملخص: ٢

المقدمة: ٣

المحور الأول ـ ثمريات مملكة غرناطة في شعر بني الأحمر: ٤

المحور الثاني ـ التهادي بالفاكهة:..... ٨

الخاتمة: ١٥

المصادر والمراجع: ١٦

The fruits of the Kingdom of Granada in brown red hair

By

Mustafa Fathy Khalifa Alnehrawy

Prof. Ayman Maidan

Professor of Arabic literature, criticism and rhetoric, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University

Dr.Ahdi Ibrahim Al-Sisi

Assistant Professor of Arabic Language, Vice Dean for Advanced Studies and Research, Tanta University

Abstract:

The research dealt with the description of fruits in the poetry of the Kingdom of Granada, in the era of Bani al-AhmarThe research included an introduction and an explanation of the hadith about the fruits of Granada in the poetry of Bani al-Ahmar, and a conclusion.

As for the introduction, the researcher talked about the charming nature of Granada, which combines plains, mountains, good climate, and .beautiful scenery

After that, the talk came about the types of fruits mentioned by the poets of Granada, and what they were described with, including grapes, figs, citron, and other fruits.

The method used in the research is descriptive-analytical. The conclusion shows the summary of the research and its conclusions.

.**Keywords**: Andalusia, Granada, nature, fruits, brown red